إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الثامن – شتاء ١٣٩١ش/ كانون الأول ٢٠١٢م
صص ١٠١ ـ ١١٤

النقد الأدبی العربی المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية «دراسة وتحليل»

حسن مجيدی*

سيدمحمد أحمدنيا**

الملخص

يعتبر النقد الأدبی من أبرز مظاهر الأدب العربی المعاصر فقد تأثرت هذه الظاهرة فی العصر الحديث بمباحث النقد الغربی وذلک لاتّصال العرب بالآداب الغربية. تعود أسباب تأثر النقد العربی بالغرب إلی مؤثرات کالنقد المقارن والمدارس النقدية کمدرسة الديوان ورجالها. والعرب – رغم هذه التأثيرات التی تعتبر لازما للمجتمع المثقف والنشيط ولابد منها – لم ينس التراث العربی فی هذه التيارات النقدية، ولم ينفصل عن الأصالة والقديم تماما. فانطلاقا من هذا نعالج فی هذا المقال بشکل وصفی و مکتبی، المؤثرات الأجنبية علی النقد الأدبی العربی المعاصر.

الکلمات الدليلية: الأدب العربی الحديث، النقد الأدبی، تأثير التيارات النقدية الغربية فی النقد الأدبی.

---

*. جامعة تربيت معلم فی سبزوار، إيران. (أستاذ مساعد).. Majidi.dr@gmail.com

**. مدرس وزارة التربية والتعليم. (ماجستير فی اللغة العربية وآدابها).

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. مهدی ناصری

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/١٠/٢٠هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩١/٩/١٢هـ. ش

المقدمة

يُعـدّ والتأثير علاقة متبادلة بين الحضارات الحيـة فى الميادين العلمية والأدبية وقد كان النقد الأدبى العربى من الميادين التى شـهدت التأثـر والتأثير. إن أثر النقد الغربى علـى النقد العربى الحديث بـارز لأن الواقع العربى الجديد يطلـب ضرورة جديدة فى المجـال الأدب والنقد كما يطلب الأدباء و الشـعراء العرب ضـرورة جديدة فى رأيهم وفكرهـم ويبحثون عن أشـكال جديدة فرضتها الحياة المعاصـرة ضمن دائرة الحداثة الغربية. والناقد يواجه أجناسـا أدبية لم تعرفها الثقافة العربية القديمة بينما نقرأ فى ضوء النقد العربى القديم نصوصا مسرحية وروائية وقصصية متأثرة بالآداب الغربية كما نقرأ الشـعر العربى الحديث فى ضوء القواعد التى وضعها النقد الغربى ويتسلح ببعض أدواته المعرفيـة التى تطورت تطورا كبيرا بفعل تطور العلوم الحديثة ولهذا تأثرت قواعد النقد العربى منذ بداية القرن العشرين بالتيارات الغالبة فى أوروبا.

المؤثرات على النقد العربى فى القديم

لقد أجمع الباحثون المعاصرون من عرب و مستشرقين على وجود التأثير الهيلينى فى "نقد الشـعر" غير أن الخلاف بقى قائما بينهم حول هذا التأثير. هل هو فلسفه الإغريق عامة أو فلسـفه أرسـطو خاصة، بل إن منهم من يجادل فى تأثير فكر أرسطو برمته على "قدامـة " و يحصـره فى كتاب (الخطابة) وحـده، بينما يرى بعضهـم أن قدامة أخذ من الخطابة و من الشـعر مما يعتبر "طه حسـين" أول من لفت الأنظار إلى الصلة التى تربط النقد بالفكر اليونانى ومن خلال كتاب "نقد الشـعر". (طالبى، ١٣٨٤ش: ٤٢) ومن أهم مصادر النقد التى انشـغلت بالثقافة اليونانية وحاولـت أن تخضع البلاد العربية لأصول أرسـطو، كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وتأثر قدامة بالفكر اليونانى فى تنظيم كتابه، فجعله ثلاثة فصول مقتديا بأرسطو. (ضيف، لاتا: ١٦)

قـال "أمجد الطرابلسـى" إن "قدامة" تأثر ببلاغة أرسـطو (خطابتـه) وليس بكتاب فن الشـعر ويتفق مع الباحثين السـابقين "طه ابراهيم" حين يقـول: « فقد ترجم كتاب (الخطابة) لأرسطو فى النصف الأخير من القرن الثالث، ترجمه "إسحاق بن حنين" و قرأه "قدامـة بن جعفر" و انكب عليه انكبابا وعمل على الانتفاع بأصوله و رسـومه فى نقد

الشعر العربی.» (عباس، ۱۹۸۱م: ۱۲۹-۱۳۰)

المؤثرات علی النقد العربی فی العصر الحدیث

وقف النقد الأدبی حائرا بین الدعوة إلی المحافظة علی التراث القدیم أو إلی الحرکة التجدیدیة و بین الدفاع عن الأدب الإسلامی والأخلاق والسنن الاجتماعیة ومنجزات الحضارة الإسلامیة ودراسة رجالها وأعلامها دراسة حدیثة فی نزعة عقلانیة؛ وبین مقاومة التیار الغربی أو إخضاع الأدب للتجدید والتعریب ومهاجمة الأدب الشرقی والدعوة إلی الآداب الغربیة وترویج مذاهبها، فمن ثم دخل معارک أدبیة أدت إلی ظهور مدرستین رئیسین فی النقد الحدیث کما کان فی الأدب: ۱. المدرسة النقدیة التقلیدیة. ۲. المدرسة النقدیة التجدیدیة. فقد تمثلت المدرسة الأخیرة فی المثقفین المتعلمین من الجیل الجدید، المتأثرین بالثقافات الأجنبیة والعلوم الجدیدة الذین یطمحون العیش بین أبناء جیل النهضة. (صابری، ۱۳۸۵ش: ۱۲۷-۱۲۸)

ولندع النقد الأجنبی فی تصورات أصحابه وتنظیراتهم و ممارساتهم فکل أولئک نتاج حضارة ذات فلسفة معقدة وأما عندنا - نحن العرب- فی عصرنا هذا فثمة رقعة مکانیة علت فیها أصوات النقاد. وتلک الرقعة التی علت فیها هذه الأصوات هی مصر کمرکز العالم العربی ومع ذلک کان المهاجرون العرب فی الأمریکیتین یبذلون الجهد لاسیما فی أوائل القرن العشرین للتنبیه بکتاباتهم إلی أن النقد العربی یحتاج إلی إعادة نظر شاملة وهکذا أخذ مجددوا العصر یضاعفون نشاطهم لربط نقودهم بالتیارات الأوروبیة. (احمد کمال زکی، لاتا: ٦٧)

وکان النقد الأدبی فی مصر من أبرز مظاهر الأدب العربی المعاصر وکان النقد قوی المعارضة متصل النسب بالسیاسة. (الجندی، ۱۹۵۷م: ۸۹) ولم یقتصر هذا الأمر علی الدراسات النقدیة فی مصر بل امتد إلی المغرب العربی والمشرق وبلاد الغرب التی تواجد فیها المهاجرون العرب. فتأسست الرابطة القلمیة فی المهجر الشمالی التی تبنت مثل مدرسة الدیوان المذهب الرومانسی فی الأدب و النقد. وکان تأثر أعضاء هذه الرابطة بالاتجاهات النقدیة الغربیة الحدیثة مباشرا بسبب تواجدهم فی البلدان الأجنبیة. (غسان السید، مجلة الموقف الأدبی)

فلمـــا وقف أبناء الأمة العربية بعـــد الاتصال بالغرب على الأســـاليب النقدية لدى الغرب أدركوا أن للنقد أصولا وطرقا ومقاييس علمية راقية وقواعد فنية لها أثر كبير فى كشف غوامض العلل والأسباب وبها تحدد للنقد حدوده، كما كان لكل علم وفن حدود وقواعد. فتســـربت تلك المبادئ و الأصول وتلـــك القواعد والفنون إلى الأدب العربى ونقده بفضل هذا الاحتكاك كما يعترف به محمد أمين حسونة فى قوله: «أفلا يحق لنا أن نقـــر فى صراحة بأنه لاتوجد فى الأدب العربى أســـاليب نقد صحيحة بالمعنى المعروفة به فى آداب الشعوب الراقية.» (صابرى، ١٣٨٥ش: ١٣٠) ويقول قسطاكى: «لم يكن النقد المعروفة عند العرب فى عصر من العصور ومع أن الانتقاد من الغرائز التى عرفوا بها فى كل زمن فلم يحددوا له أسماء ولااشتقوا من اسمه فنا غير ما هو معروف عندهم من نقد الدراهم أى تمييز جيدها من زيفها.» ولايعنى قسطاكى بذلك نفى جهود العرب عن هذا الميـــدان وإنما وقف بهم الجهد عن بعض حدوده التى لاتجـــزئ بالقياس إلى ما هو عليه فى أوروبا. فكان كتابه لذلك أول كتاب فى اللغة العربية يوطىء أكناف هذا الفن ويحدد قواعده ورســـومه. (حليمى مرزوق، ١٩٨٣م: ٢٦٣و٢٦٤) وفى كتب محمد مندور النقدية فإنه يعتمد فى تعريف الأدب على ما هو شـــائع عنـــد الأروبيين ويقول: «إن الأدب نقد للحياة وكلمة النقد فى هذا التعريف تســـتعمل بمعناها الاشتقاقى فهى مأخوذة من الفعل اليونانى ومعناه "يميز" فكلمة النقد الأروبية معناها إذن هو تمييز العناصر المكونة للشـــئ الذى ننقده.» (صابرى، ١٣٨٥ش: ١٤٥)

وتأثـــرت قواعد النقد العربى منذ بداية القرن العشـــرين بالتيارات الغالبة فى أوربة، فظهر كتاب طه حســـين (فى الأدب الجاهلى) متأثرا بفلســـفة ديكارت، كما ظهر للعقاد كتـــاب (ابن الرومى، حياته و شـــعره) وكتـــاب آخر عن أبى نـــواس، متأثرا بالمباحث التاريخية والبيولوجية والســـيكولوجية. وشـــكل العقاد إلى جانـــب إبراهيم عبدالقادر المازنى وعبدالرحمن شـــكرى مدرسة الديوان التى تأثرت بالرومانسية الغربية من النقد. (ربيعى، ١٩٦٨م: ١٧٥)

أما اســـتفادة طه حســـين من منهج ديكارت فى كتابه عن الشـــعر الجاهلى وفى كتبه الأخـــرى فيتمثـــل بتلك النزعـــة العقلانية التى تريـــد أن تخضع كل الظواهـــر الفكرية

للتمحیص والنقد العقلین، ومن ناحیة التاریخ الأدبی فقد استفاد طه حسین من هذا المنهج فی امتلاک تلک النظرة النقدیة العقلیة التی وضعت علم القدامی کله موضع التجربة والاختیار. بالإضافه إلی هذه المؤثرات یذکر طه حسین أثر بعض الأساتذة الطلیان الذین طبعوا حیاته العقلیه بطابع النقد الحدیث. من هؤلاء نالینو الذی عمق فهم طه حسین فی دراسة الآداب وردها إلی مصادرها الأولی من المؤثرات الاجتماعیة والسیاسیة کما دفعه إلی البحث عن أصل کل جنس من الفنون الأدبیة وعن کیفیة نموه أو انحطاطه وعن تأثیر الأدباء بعضهم فی بعض. (الشاذلی، ١٩٨٩م: ٣٢٦) یقول طه حسین عن مؤثرات نالینو: «فمن الطبیعی أن یحدث فی نفوسنا أعمق الآثار وأبعدها مدی وأن یطبع حیاتنا العقلیه بطابع النقد الحدیث. ولیس من شک أن حقائق التاریخ الأدبی العربی قد تغیرت منذ ذلک الوقت فی کثیر من أنحائها.» (حسین، ١٩٥٤م: ١٣)

وإلی جانب المجلات، وُجدت مجلة بیروتیة أخری هی مجلة (شعر) تدعو إلی الحداثة فی الأدب والنقد. وکان أدونیس ویوسف الخال من أشهر أعلامها الذین دعوا صراحة إلی تبنی المقاییس الغربیة فی دراسة الأدب العربی قدیمة وحدیثة. (أدونیس، ٢٥٨) یقول أدونیس: «وکما أننا نعیش ومذاهب أدبیة ابتکرها، هی أیضا الغرب.» أما یوسف الخال مؤسس مجلة (شعر) فیدعو إلی وعی التراث الروحی- العقلی العربی وفهمه علی حقیقته وإعلان هذه الحقیقة وتقویمها کما هی دون ما خوف أو مسایرة أو تردد والغوص إلی أعماق التراث الروحی العقلی الأروبی وفهمه والتفاعل معه. (عیاد، ١٩٣٣م: ٢٦٣)

وهناک العوامل الأخری لتأثیر الغرب فی النقد العربی الحدیث مثل النقد المقارن و ظهور المدارس النقدیة.

النقد المقارن

ظهر نوع جدید من الدراسات النقدیة القائمة علی المقارنة بین الأدبین العربی والأوربی، ومستفیدة من تطور الأدب المقارن فی أوربة مهد هذا الفرع المعروفی الجدید، مثل "تاریخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفکتور هوغو" لروحی الخالدی و"منهل الوراد فی علم الانتقاد" للناقد السوری قسطاکی الحمصی الذی خصص الجزء الثالث من هذا الکتاب للحدیث عن رسالة الغفران لأبی العلاء المعری، والکومیدیا الإلهیه

للشاعر الإيطالى دانتى. (السيد، مجلة الموقف الأدبى)

فمن الطبيعى أن تنعكس التطورات الأدبية على الدراسات النقدية فى العالم العربى ويخطو النقد العربى خطوات مع نقاد احتكوا بالآداب الأجنبية وأساليبها النقدية ويشهد الفن القديم أبوابا مستحدثة، كهذا الاتجاه النقدى الذى دعى بـ "النقد المقارن" وإن هذا الاتجاه النقدى يهتم بالعلاقات التى تقوم بين أدب وطنى كتب بلغة قومه وبين أدب أو آداب أجنبية، كما يهتم بدراسة العلاقات الأدبية القائمة بين كتاب وشعراء متشابهين فى إنتاجهم الأدبى. (صابرى، ١٣٨٥ش: ١٥١)

ومن الآخرين فى هذا الاتجاه النقدى محمد غنيمى هلال فى كتابه "فى النقد التطبيقى والمقارن" حيث تناول الكتاب أسس النقد الغربى والنقد العربى والتيارات النقدية المعاصرة، وكتابه الآخر "الأدب المقارن"، وهكذا غيره ممن كتب حول الأدب المقارن كمحمد مندور وعبدالسلام كفافى وطه ندى، وغيرهم من الأدباء فى خارج الوطن العربى. (المصدر نفسه: ١٥٢)

ومما لاشك فيه أن الدراسات المقارنة العربية، خاصة فى جانبها التطبيقى، قد تطورت تطورا كبيرا بعد هذه المرحلة، ولكن المهم، بالنسبة لبحثنا هو التأكيد على استفادة النقاد العرب من المنهج المقارن فى الدراسات الأدبية، هذا المنهج الذى ولد فى فرنسا عام ١٨٢٨م على يدى "آبيل فيلمان" ويقوم وفق وجهة النظر الفرنسية على دراسة التأثر والتأثير بين الآداب. أى دراسة الصلات التاريخية التى يمكن أن تنشأ بين آداب مختلفة اللغة.

إن هذه التغييرات التى طرأت على النقد العربى الحديث لم تسهم على الرغم من أهميتها فى تكوين خلفية معرفية ضرورية لتكوين نظريات نقدية عربية.

وهكذا بقى النقد العربى متأثرا بالمتغيرات النقدية الغربية. يرى الدكتور محمد مندور أن منهج الدراسة الأدبية لم يتبلور بعد فى بلادنا العربية ولا رسمت خطط ومذاهب. (مندور، لاتا: ١٤٧)

المدارس النقدية

ومن أكبر الظواهر الأدبية والنقدية التى تلفت نظر المؤرخ لتطورات النقد والأدب

المعاصر فی القرن العشرین ظهور المدارس النقدیة ومن أقوی هذه المدارس هی "مدرسة الدیوان" ورجالها: «عباس محمود العقاد وعبدالرحمن شکری وإبراهیم عبدالقادر المازنی.» (طالبی، ١٣٨٤ش: ١٤٠)

والتفت حولهم عدد من الشباب الناهضین الذین تزودوا بقسط وافر من الثقافة العربیة والإنجلیزیة منهم: عبدالرحمن صدقی وعلی أدهم ومفید الشوباشی وعبدالحمید السنوسی وعبداللطیف النشار وغیرهم.

وتأثر شعراء مدرسة الدیوان بقراءتهم وثقافتهم الإنجیلیزیة بوجه خاص وکان العقاد والمازنی یرجعان فی النقد إلی "هازلیت وماکولی وأرنولد وشاستری" فأغلب آراء العقاد مأخوذة من "هازلیت" ومحاضراته فی الشعراء الإنجلیز ویشبهه العقاد فی عنفه النقدی، کما رجع العقاد فی مذهبه النقدی إلی "ریتشاردز" صاحب کتاب "مبادئ النقد الأدبی". (المصدر نفسه: ٦٤) وفی الحقیقة إن العقاد وصاحباه یعترفون بأثر الرومانسیة الغربیة فیهم، وإن هذه الرومانسیة هی التی فتحت أمامهم المعنی الجدید للشعر. (إبراهیم الحاوی، ١٩٨٤م: ٥٦) یعترف العقاد بتأثر شکری من الآداب الأجنبیة حیث یقول فی بعض من تلک الذکریات: «عرفت عبدالرحمن شکری قبل خمس وأربعین سنة فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وکتابنا أوسع منه اطلاعا علی أدب اللغة العربیة وأدب اللغة الإنجلیزیة وما یترجم إلیها من اللغات الأخری.» (خفاجی، ١٩٨٥م: ٢٣و٢٤)

وقد أعجب شکری کل الإعجاب بشعراء الرومانسیة الإنجلیزیة "رودزورث وکولردج وشلی وبیرون وکیتس وسکوت" وقرأ کل ما کتبوه وتأثر بهم روحا ومنهجا. (شکیب انصاری، ١٣٧٦ش: ١٦١)

کما ینظم المازنی معه الشعر علی أسلوب جدید فی ضوء ما قرأ من شعر الإنجلیز وخاصة عند أصحاب النزعة الرومانسیة أمثال "شلی" وشعراء البحیرة. (الفاتح البدوی، ١٩٩٠م: ٣٦٤) ویقرأ المازنی وتتسع قراءته وینفتح أمامه العالم الغربی عن طریق إتقانه للإنجلیزیة، فلایقف عند ما یقرؤه فی الأدب الإنجلیزی بل یقرأ کل ما استطاع فی الآداب الغربیة المختلفة. (ضیف، لاتا: ٢٦٣) ونشر المازنی أول مجموعة مختارة من مقالاته سنة

١٩٢٤م بعنوان "حصاد الهشيم" و فيها نراه يتحدث عن شكسبير ورواية تاجر البندقية التى نقلها إلى العربية خليل مطران، كما يتحدث عن ماكس نورد و وآرائه فى مستقبل الأدب والفنون. ويناقش آراءه مناقشة تدل على اتساع ثقافته الغربية. ويدرس بجانب ذلک المتنبى وابن الرومى، ويترجم بعض رباعيات الخيام عن الانجليزية. ويعرض لكثير من مشاكل الأدب و النقد. (المصدر نفسه: ٢٦٥)

أما العقاد فنراه يقول عن هذا الجيل الجديد: «فهى مدرسة أوغلت فى القراءة الإنجليزية وهى مع إيغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الإنجليزيين لم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلّها استفادت من النقد الإنجليزى فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ولاأخطىء إذا قلت إنّ "هازليت" هو إمام هذه المدرسة كلها فى النقد.» (العقاد، ١٩٣٧م: ١٩٢) وكان مرجعها الأول مجموعة "الكنز الذهبى" وهى مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزى من عهد شكسبير إلى نهاية القرن العشرين. (خفاجى، ١٩٨٥م: ٧)

أعجب العقاد بشكسبير لاطلاعه الدائم على أعماله، وهو يجعل شكسبير نبى الفكر وهو يفعل ذلک فى محتوى مفهوم الشاعر النبى الذى أطلقه كارليل وتبناه الرومانتيكيون يقول العقاد: «ليس شكسبير بإنسان من الناس فى هذا الاعتبار ولكنه خارقة إلهية لايدخلنا الناس فيما بينهم من المناقشات والموازنات.» (العقاد، ١٩٣٧م: ٢٧٧) وينظم العقاد قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتا بعنوان "شكسبير بين الطبيعة والناس" وأيضا استقى من شكسبير بعض الأفكار فى شعره بالإضافة إلى أن العدد الأكبر من مترجمات العقاد مختار من مسرحيات شكسبير. وقراءة العقاد للأساطير كانت من الروافد التى لها فعاليتها فى تفتيح مواهبه فقد استخدمها فى شعره بكثرة: أسطورة "فينوس" ربة الحب عند الأقدمين وهى تقف على جثة "أدونيس" أحد أبناء ملوک قبرص وقد عرب العقاد هذه الأسطورة عن شكسبير. (طالبى، ١٣٨٤ش: ٧٩)

وفى هذه الفترة رأى العقاد وهيكل وطه حسين والمازنى أن ينقلوا إلى قرائهم مباحث الأدب والنقد الغربية ويشفعوها بنظرات تحليلية فى المفكرين الغربيين. وكان ذلک سببا فى ظهور ملاحق أدبية للصحف اليومية، فأخرج هيكل السياسية الأسبوعية وأخرج

العقاد أو أخرجت جريدة البلاغ الوفدية مجلة البلاغ الأسبوعية، ونتج عن ذلک نهضة أدبية واسعة. وأخذ هؤلاء الكتاب يجمعون مقالاتهم الممتازة فی كتب وينشرونها فنشر العقاد كتاب مثل: "مراجعات فی الآداب والفنون" و"مطالعات فی الكتب والحياة" و"الفصول" وهی تصور هذا الجهد العقلی الخصب الذی اضطلع به فی حياتنا الأدبية، فقد نقل إلينا كثيرا من الأفكار الأوروبية التی لم تكن تعرفها العربية. (ضيف، لاتا: ١٣٧)

إن من المستطاع إجمال المؤثرات النقدية الأجنبية على العقاد فی هذه النقاط: الدعوة إلى الوحدة العضوية وإلى أصالة الشاعر فی رجوعه إلى ذات نفسه، وتصوير مشاعره وأفكاره بصور مستمدة من تجاربه وبيئته، وكذلک دعوة الشاعر إلى أخذ تجاربه نفسها من بيئته يصدر فيها عن صدق فكره وشعوره. ويجمع ذلک كله أنه كان يدعو إلى الصدق الفنی فی التصوير، ثم إلى صدق التجارب فی الإيمان بموضوعاتها. وله الفضل فی توضيح معنى الخيال، وإنه إنتاج الصور الصادقة وهی نتاج الخيال لاتقوم على الشبه الظاهری الحسی، ولكنها تثير شعورا نفسيا يتجاوز هذه المظاهر. وهذه كلها نزعات رومانتيكية كما وضح من موجز ما عرضنا من النواحی الرومانتيكية. (طالبی، ١٣٨٤ش: ٨٤)

ورأينا فيما مضى أن أعضاء مدرسة الديوان كانوا يتأثرون بالآداب الأجنبية بواسطة قراءاتهم أو ترجماتهم من الكتب الأجنبية وخاصة الإنجليزية منها وهذا ما يتضح لنا من خلال مقالاتهم عن الشعراء والأدباء والمفكرين الأجانب مباشرا وعن طريق أخذ فكرتهم وآرائهم عنهم فی نقدهم وإنتاجاتهم الأدبية. ويؤكد على قولنا تأثر هؤلاء الثلاثة من كتاب "الذخيرة الذهبية" ومقالات العقاد وآرائه فی "ماكس نورداو" فی قضية الجمال وأفلاطون وفلسفة الأخلاق وكانت وفلسفته و... وآراء شكری فی الخيال والتوهم متأثر بالغرب و"وردزورث" و"كولرج". (باقری، ١٣٨٧م: ١٥٣)

وجدنا جماعة جديدة تأتی فی أعقاب مدرسة الديوان تريد أن تحل بالتجديد إلى غايات أسمی- فی نظرهم- مما نادی به زعماء مدرسة الديوان واتخذوا إله الشعر عند اليونان "أبولو" رمزا لهم وأصدروا صحيفة بهذا الاسم أفسحوا فيها المجال للبحوث والآراء التی تعنی بتجديد الشعر العربی فی العصر الحديث. (درويش، ١٩٨٨م: ١٩٢)

لاتكون جماعة "أبولو" مذهبا أدبيا ولذلک كانت صلتها قوية بمدرسة البعث والتقليد

وحاولت أن تمد القنوات بينها وبين مدرسة الديوان كما اتصلت بمدارس الأدب الغربى على مختلف فنونه ومواقعه. (محمد براده، ١٩٨٦م: ٩٤و٩٥)

وبعد هذه الدراسات والكتابات فلننظر إلى هذا السؤال: هل تأثر النقد العربى بالغرب تماما ونسى التراث النقدى القديم بحيث لايرتبط بالتراث العربى القديم ويغفل الرواد من النقاد العرب، القيم الثقافية القومية؟

لم تكن مدرسة الديوان خاضعة فى كل اتجاهاتها النقدية لما أملاه الفكر النقدى الإنجليزى فى بيئة الرومانتيكيين أو غيرهم إذ كانت للديوانيين نظراتهم الخاصة وارتباطهم بتراثهم العربية وأن يقيموا جسرا بين الثقافتين العربية والأروبية. (هدارة، ١٩٩٤م: ٣٤١) أما بجانب هذه الإيحاءات والإلهامات الغربية فى شعر هذه المدرسة إيحاءات وإلهامات كثيرة من الشعر القديم لأن هذه المدرسة لم تنفصل انفصالا تاما عن نماذج الشعر العربى، وإن كانت كتاباتها النقدية فى شعراء الإحياء توهم ذلک. والحقيقة أنها كانت تتصل بروائع الشعر السابقة التى تقرب من ذوقها، مما قرأته عند "ابن الرومى" و"المتنبى" و"الشريف الرضى" و"أبى العلاء" وقد كتب المازنى فصولا طريفة عن ابن الرومى وأشاد بشعره إشادة واسعة وأفرد له العقاد كتابا، وكتب مرارا عن المتنبى وأبى العلاء المعرى و... .

فهم لم ينفصلوا ولم يستقلوا تماما عن الشعر القديم... وليس هذا عيبا فى المدرسة، بل هو حسنة كبرى لها، فإنها بذلک تدخل فى مجرى الحياة الأدبية بقوة وتصبح تيارا نافذا عاملا فيه تيارا فيه من الروح والحياة العربية ومن إلهامات الغرب وقراءة آثاره، فهم شرقيون غربيون بل هم مصريون عبروا عن روح عصرها المتشائمة تعبيرا قويا، وطبعوا هذا التعبير بطوابع الثقافة الحديثة وكل ما اكتسبه العقل المصرى من رقى. وإذا كانوا فى أول الأمر قد نقدوا شعراء الإحياء وعابوهم بتسجيلهم الأحداث السياسية والاجتماعية فإنهم اضطروا اضطرارا أن يسلكوا فى بعض الأحيان سبيلهم وخاصة "العقاد" الذى يختلط بعد سنة ١٩٢٢م بالحياة السياسية وأصبح عضوا عاملا فى التعبير عنها باسم أحزابها، ولم يقف بهذا التعبير عند النثر، بل مدّهُ إلى الشعر. (طالبى، ١٣٨٤ش: ٦٨ نقلا عن العقاد والمازنى: ٢)

وفضل مدرسة الديوان بأنهم اضطلعوا على الأدب الإنكليزى واستفادوا من مبادئ نقده وحاولوا فى ثورتهم على القديم أن يجدوا فى الشعر العربى الحديث ما وسعهم الجهد متخذين من قضايا النفس والذات والآراء والخواطر الإنسانية أساسا لانطلاقهم فى النظم. (أبوالشباب، ١٩٨٨م: ٩٥) ولقد كانت هذه المدرسة مستقلة فى آرائها ولم تفن فناء تاما فى الأدب الأجنبية لأنها تحصنت ضد هذا الفناء والخضوع بما لقحت نفسها من الأدب العربى سابقا وفى أثناء مقاربتها لهذا الأدب فأعانها ذلک على سلامة الرأى والتمييز، وجنبها الوقوع فى إسار التقليد. (أبوكريشة، لاتا: ١٠٠)

وكان على جيل الرواد من النقاد العرب إذن الاختيار بين الاكتفاء بالتراث النقدى أو الاستفادة من المناهج النقدية الغربية. أما التيار الأول فقد قدم طروحات تتعلق ببناء مشروع نقدى عربى مستقل نسبيا عن التيارات النقدية الغربية ومتواشج مع التراث النقدى العربى القديم. مثلما فعل حسين المرصفى فى كتابه "الوسيلة الأدبية" ومصطفى صادق الرافعى فى "تاريخ آداب العرب" وجرجى زيدان فى "تاريخ آداب اللغة العربية". (غسان سيد، مجلة الموقف الأدبى)

ونرى أن جيل الرواد من النقاد العرب حاولوا تجديد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية واطلاعهم العميق على مناهج البحث فى الدراسات الأدبية الأروبية الحديثة، ولم يغفل هؤلاء الرواد فى لحظة اتصالهم بالثقافة الأروبية عن النظر فى القيم الثقافية القومية بل نراهم وهم يبذلون أقصى جهودهم فى تطوير هذا التراث القومى والعمل على توثيقه لربطه بالمجرى العام للثقافة الإنسانية. لأنهم كانوا مقتنعين بأهمية ما يفعلونه من أجل تعريف العالم بأدب متجدد يستطيع أن يواكب المتغيرات العالمية. فلم تكن النهضة إذن إلا شعورا بالقلق الجم لم يستيقظ فيجد نفسه متخلفا عن الركب. ولأول مرة يتعرض الأدب العربى القديم للبحث والتدقيق ولا شک فى القيم التى توارثتها الأجيال المختلفة بالاعتماد على أدوات فنية غربية بعد أن بدا النقد العربى القديم عاجزا عن القيام بهذه المهمة الصعبة لأنه كان يقوم فى كثير من الأحيان على مجموعة من الانطباعات اليسيرة التى طغت عليها محاولات البلاغة اللفظية والأحكام الجاهزة دون تعليل.

إن المناهج النقدية الأروبية فرضتها ظروف محددة عاشتها تلك المجتمعات لأن كل تغير فى مجال الفكر والفن لايحدث بمعزل عن القوى الأخرى الفعالة فى المجتمع. ولذلک كانــت ولادة هذه المناهج وتطورها يحدث بصورة طبيعية أما عندما عمدنا إلى نقل هذه الاتجاهات النقدية الجديدة دون تأمين الوسـط المناسـب، فإننا نكون قد حكمنا عليها بالموت سلفا مثلها فى ذلک كمثل نبتة لاتعيش إلا فى المناطق الاستوائية أو المدارية مثلا وتنتقل إلى خارج موطنها الأصلى دون تأمين الظروف المناسبة لاستمرارها فى الحياة.

والمشـكلة أن النقد العربى المعاصر لايسـتطيع التخلص من هذه الإشـكاليات التى عانى منها النقد العربى الحديث منذ مطلع عصر النهضة على الرغم من بعض الدراسات المتميـزة التى يقوم بها بعض النقاد العرب مثل شـكرى عيـاد ومصطفى ناصف وجابر عصفـور ووهب رومية وغيرهـم، لا بل إن بعضهم ينظر بعين التقديس إلى كل ما يصدر عـن النقاد الغربيين. يكفى أن ننظر إلى مقالة الدكتور حسـن سـحلول فى مجلة المعرفة السورية للتأكيد من حالة الاستلاب التى يعانى منها النقد العربى المعاصر، إذ يذكر أكثر من ثلاثين اسما لنقاد غربيين فى صفحات قليلة. (غسان سيد، مجلة الموقف الأدبى)

إننـا نظن أن النقد العربى الحديـث بعيد عن الموضوعية وعن المنهج العلمى الدقيق، وذلک لأنه لم يسـتطع تطويـر النقد العربى القديم ولا أن يتمثل مناهـج النقدية الغربية الحديثة، ولا أن يخلق منهجا نقديا عربيا جديدا يستمد خصوصيته من خصوصية علاقته بواقعية، دون أن ينقطع عن المناهج النقدية العالمية. يقول الدكتور شـكرى عياد: «ونحن نعترف دائما بأننا لن نستطيع فهم القديم –كما يتاح لنا فهمه اليوم – إلا إذا نظرنا إليه بعيـون معاصرة ولايقتصر ذلک على الوعى بمشـكلات الحاضر ومطالبه، ولكنه يتضمن استخدام وسائل الفكر المعاصر أيضا.» (شكرى عياد، ١٩٣٣م: ٦)

النتيجة

تأثـر النقد العربى بالغرب وحاول العرب تجديـد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهـم الوثيق بالثقافة الغربية وبعد هذا الاتصال أدركوا أن للنقد أصولا وقواعد فنية فأدخلوا تلک القواعد والفنون إلى الأدب العربى ونقده. تأثر أكبر مدرسـة نقدية وهى

مدرسة الديوان بالأدب الأروبی المعاصر وقد نبع تيار النقد العربی الحديث من النقد الغربی وقد أحدث هذا التيار أثرا كبيرا فی الشعر العربی وحركة التجديد للشعر العربی.

إن الرواد من النقاد العرب فی اتصالهم بالثقافة الأروبية لم يغفلوا عن القيم الثقافية العربية وبذلوا جهودهم فی تطوير هذا التراث ولم ينفصلوا من القديم تاما. إن القاعدة الأساسية للسير بهذا النقد فی الاتجاه الصحيح موجودة وذلک بفضل جيل الرواد من النقاد العرب فی العصر الحديث الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة. وهذه التطويرات من أجل تطور منهج نقدی عربی ولن يكتب لهذا المنهج النجاح إلا إذا جمع بين التراث العربی النقدی والمناهج النقدية الحديثة.

المصادر والمراجع

أبوالشباب، واصف. (۱۹۸۸م). *القديم والجديد فی الشعر العربی الحديث*. بيروت: دار النهضة العربية.

ابوكريشة، طه مصطفی. (لاتا). *ميزان الشعر عند العقاد*. لامک: لانا.

أحمد كمال، زكی. (لاتا). *النقد الأدبی الحديث*. بيروت: دار النهضة العربية.

اسدبور كياسری، فاطمه. (۱۳۸۷ش). *موازنة بين آرای نقدی وادبی عباس محمود العقاد واحمدزكی ابوشادی*. الأستاذ المشرف: حسين شمس آبادی. جامعة تربيت معلم فی سبزوار.

باقری، مرتضی. (۱۳۸۷ش). *مدرسة الديوان ودورها فی الأدب العربی المعاصر*. الأستاذ المشرف: محمدعلی طالبی. جامعة تربيت معلم فی سبزوار.

برادة، محمد. (۱۹۸٦م). *محمد مندور وتنظير النقد الأدبی*. القاهرة: دار الفكر.

الجندی، أنوار. (۱۹۵۷م). *نزعات التجديد فی الأدب العربی المعاصر*. لامک: مطبعة الأعلام.

الحاوی، إبراهيم. (۱۹۸٤م). *حركة النقد الحديث والمعاصر فی الشعر العربی الحديث*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

حسين، طه. (۱۹۵٤م). *تاريخ الآداب العربية*. مصر: دار المعارف.

خفاجی، عبدالمنعم. (۱۹۸۵م). *دراسات فی الأدب العربی الحديث*. الجزء الثانی. القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية.

درويش، حسن. (۱۹۸۸م). *النقد الأدبی بين القدامی والمحدثين*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ربيعی، محمود. (۱۹٦۸م). *فی النقد الشعر*. القاهرة: دار المعارف.

شـاذلی، عبدالسلام. (١٩٨٩م). *الأسس النظرية فی مناهج البحث الأدبی العربی الحديث*. بيروت: دار الحداثة.

شـكيب انصاری، محمود. (١٣٧٦ش). *تطور الأدب العربی المعاصر*. أهواز: جامعة شـهيد چمران أهواز.

صابری، علی. (١٣٨٥ش). *النقد الأدبی وتطوره فی الأدب العربی*. طهران: سمت.

ضيف، شوقی. (لاتا). *الأدب العربی المعاصر فی مصر*. الطبعة العاشرة. القاهرة: دار المعارف.

ـــــــــــ (لاتا). *فی النقد الأدبی*. القاهرة: دار المعارف.

طالبی، محمدعلی. (١٣٨٤ش). *المختصر فی النقد الأدبی*. طهران: ناشر عابد.

عباس، إحسان. (١٩٨١م). *تاريخ النقد الأدبی عند العرب*. بيروت: دارالثقافة.

العقاد، عباس محمود. (١٣٨٢ش). *مناهجه، آراءه، معاركه النقدية*. طهران: حروفية.

ـــــــــــ (١٩٣٧م). *شعراء مصر وبيئاتهم فی الجيل الماضی*. القاهرة: مطبعة حجازی.

ـــــــــــ (١٩٨٤م). *ساعات بين الكتب*. بيروت: لانا.

عياد، شكری. (١٩٣٣م). *المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين*. الكويت: عالم المعرفة.

الفاتح البدوی، زينب. (١٩٩٠م). *دراسة نقدية مقارنة*. السودان: مطبعة جامعة الخرطوم.

مرزوق، حليمـی. (١٩٨٣م). *تطور النقد والتفكير الأدبی الحديـث*. بيروت: دار النهضة العربية.

مندور، محمد. (لاتا). *النقد والنقاد المعاصرون*. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.

هدارة، محمدمصطفـی. (١٩٩٤م). *بحوث فی الأدب العربی الحديـث*. القاهرة: دار الفكر العربی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی